**الجامعة المستنصرية/ كلِّية الآداب/ قسم اللغة العربيِّة /أ.م. د. قصي عدنان الحسيني**

**الأدب الأندلسي / المرحلة الثَّالثة/ مسائي/ 1439ـ 1440 هـ / 2017 ــ 2018م**

**المحاضرة الخامسة :**

**الأدب الأندلسي في عصر الولاة**

**95 ـ 138 هـ**

لم يصل أدب كثير عن عصر الولاة ؛ لأنّ هذا العصر اتسمَ بالمنازعات والحروب علماً أنّها كانت فتح للأراضي الأندلسية ، ونشر للإسلام، أمّا الحروب الواقعة فكانت على شكل :

1. الحروب الدِّينية بين المسلمين والإسبان والفرنجة .
2. النِّزاع العرقي بين العرب والبربر .
3. الصِّراع القبليّ بين العرب أنفسهم، قحطانيين (جنوب) وعدنانيين (شمال).

وقد حكم في أثناء حكم الولاة قرابة أربعة وعشرين والياً في أقلِّ من نصف قرن من الزَّمن .

وهذا الشَّكل من الحياة السِّياسية والاجتماعية في شكلها العام تعطينا صورة واضحة لمجتمعٍ قلقٍ مضطربٍ غيرِ مستقرٍ؛ بسبب أنَّ الحكم الإسلامي كان في أول مشواره، والحدود غير آمنة بشكل كامل مع النَّصارى ، وضد الفرنجة فيما وراء جِبال البرانس ، وكذلك شمال الأندلس في مقاطعة قشتالة (إقليم الباسك) .

وكان جُلُّ هَمَّ الداخلين من الفاتحين المسلمين (العرب والبربر) هو تطبيقُ (الأحكام الشرعية ) فيما يخصّ الغنائم ، والضَّرائب وتخطيط المساجد ، وتفقيه النَّاس ، وتعلّم اللغة العربيَّة لغير العرب من الفاتحين ، وتعدُّ هذه الحقبة برجالها همُ الأوائل الذين أسسّوا المدارس الأندلسية في قرطبة واشبيلية ، وكان شغلهم الشاغل بشكله العام هو تدريس كتاب الله تعالى وسنةَ رسوله **(صلى الله عليه وآله)** ؛ لذا كانت الحياة الثقافية متواضعة وبسيطة بقدر ما نتصور على وفق الوضع السِّياسي والاجتماعي العام ، وبحسب سياسة الدولة التي كانت سائدة وقتذاك .

وأَن هذا القدر من الثَّقافة المتواضعة يمثل الخيوط الأولى لفجر الثَّقافة الأندلسيّة ، وهي البذور الأولى للأدب الأندلسي ، فمثلاً في باب الشعر:

حفظت لنا المراجع أسماء قِلَّة من الشعراء الذين وطؤوا أرض الأندلس مثل **:(أبو الأجرب جعونة بن الصِّمَّة)** وهو عربي دخل الأندلس ، وهجا **"الصُّميل بن حاتم"** رئيس القيسية ، ثم عاد إلى مدحه بعد أن التقيا على الصُلح .

وقد نقل د. أحمد هيكل عن مراجع أندلسية مثل :

ابن سعيد في المُغْرب، والضَّبي في بُغية المُلْتَمِس ، والحُميدي في جذوة المقتبس ، والمَقّري في نفح الطيب :

إنّ الشَاعرَ "جعونة بن الصِّمَّة" في الأندلس كان في مرتبة جرير والفرزدق في المشرق ، وروي أن أبا نواس سأل عباس بن ناصح الأندلسي في العراق عن الشَّاعر جعونة بن الصِّمَّة، وطلب أن يسمع شيئاً من شعر جعونة ، وسأل أبو نواس عن الشَّاعر بكر الكنائيّ أيضاً . (يُنظر :الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة د. أحمد هيكل ص62، 63، 64، 65، 66، وينظر هامش ص66 رقم (1) ) وكذا : ص7 هــ 4 عن نفح الطيب 2/56 ط الأزهرية 1302 هــ) .

**من شعر جعونة بن الصِّمَّة قوله** :

ولقـــــــــد أرانــــــي مـــــن هوايَ بمنــــــزلٍ

عالٍ ورأســـــــــــــــي ذو غدائـــــــــــــر أفرعُ

والعيــــــــــشُ أغيـــــــــدُ ساقــــــــطٌ أفنانـُـهُ

والمـــــــــاءُ أطيبــُــــهُ لنــــــــا والمرتَــــــــعُ

ومن شعراء ذلك العهد **"أبو الخطّار حسام بن ضِرار"** **ت130هـ ،** وكان من أشراف القحطانيين في الأندلس ، وقد شهد فتوح المسلمين بأفريقيا ، وأبلى فيها بلاءً حسنا ، ووفد والياً على الأندلس عام 125هـ - 742م ، أيام حُكُم هشام ابن عبد الملك .

وكان "أبو الخطَّار حسام بن ضِرار الكلبي" ، شاعراً فارساً ؛ لذا لُقب بـ"عنترة الأندلس"، ولكـنَّ شعـــر "ابـــن ضــــــرار" مثـــــل شعر "جعونة بن الصِّمَّة" في قلته وندرة ما وصل إلينا، كقوله في ثأر أخذه لعزيز من قومه :

فليــــــــتَ ابـــــــن جَوَّاسٍ يُخبـَّــــــــــرُ أننــــــي

سَعيــــْــــتُ بــــه سعــــــي أمرئٍ غيـــــرِ غافـــــلِ

قتلـــــــــتُ بـــــــه تسعيـــــنَ تحْســـَـــبُ أنَّهــم

جذوعُ نخيـــــــــلٍ صُرِّعــَـــــــتْ بـــــالمســـــايــلِ

فلــــو كانــــــت الموتـــى تُباعُ اشتريتـــــُـــهُ

بكفــــــيِّ ، ومـــــــا استثنيتُ منهـــــا أناملــــــــــي

ومن شعره في معاتبة الحكَّام المروانيين؛ لِنُصرتهم القيسيين على اليمنيين . ( ينظر الأدب الأندلسي "هيكل" : ص 66 و67 . )

أفأتـُـــــــم بنــــــــي مروان قيســــــاً دماءنا وفــ

ــــــي الله إنْ لــــــم تُنْصِفُــــــوا حُكــــــمٌ عــدلُ

كأنَّكــــــــمُ لـــــــــم تشهـــــدوا (مــــرج رهــــط)\*

ولــــــــم تعلمــــــــوا مـــن كان ثـَـــمَّ لــــهُ الفضلُ

وقيناكــــــم حـــــــــرَّ الوغــــــى بصــــــــــدورنا

وليْســـــــــــتْ لكــــــم خيــــــلٌ تُعـدُّ ولا رَجْــــــلُ

فلمـــــا رأيتـــــم واقــــــدَ الحـــــربِ قــــد خَبَا

وطابَ لكـــــــم منهــــــا المشــــــاربُ والأكــــــلُ

تغافلتــــمُ عنَّـــــا كأن لـــــم يكـــــــن لنــــــــــا

بـــــــلاءٌ وأنتــــم – ماعلمــــــتُ- لهــــــا فُعـــلُ

فلا تجزعــــــــــوا إن عضّــــــت الحروب مـــــرةً

وزلّــــــــــتْ علـــــــــى المرقاة بالقــــدم النعـــلُ

\*معركة مرج راهط : معركة دارت في الشام سنة 65هـ في عهد مروان بن الحكم ، ومعه اليمنيون بقيادة حسَّان بن مالك الكلبي ضد القيسيين المشايعين لابن الزبير بقيادة الضحان بن قيس الفِهري التي انتهت بهزيمة الضحاك ، وانتصار اليمنيين . ( ينظر : الأدب الأندلسي "هيكل" : ص67 ، هـ 2) .نعم هناك شعراء كثيرون ، لكن ضاعت أشعارهم كما ضاعت أسماؤهم .

**خصائص الشِّعر الأندلسي في عصر الولاة:**

إنّ هذه الخصائص وضعت في ضوء الشِّعر القليل الذي وصل إلينا ، وهو لا يمثل عصر الولاة بالتأكيد ؛ بسبب :

1ـ قلَّة هذا الكمِّ الشِّعري الَّذي وصل إلينا .

2ـ ضياع المجموع الأكبر منه؛ لذا ستكون هذه الخصائص في ضوء ما وصل إلينا من شعر ، لا على شعر العصر كله ، فهذا أمر غير منطقي وليس بعلمي .

3ـ لا يمكن أن نطلق على الشِّعر الذي قيل في الولاة بأنه أندلسيّ سوى أنَّه قيل في الأندلس ، فقائلوه هم من المشارقة الَّذين وفدوا على الأندلس أيام الفتح .

4ـ الشِّعر كان محافظاً بقدر الموضوعات التي طرحها الشُّعراء، وليس كما قال د. أحمد هيكل من أنه كما كان محافظاً في المشرق، إذا ما قِيسَ بجرير والفرزدق فهو في المحافظة سواء .

5ـ كانت أغراض الشِّعر الذي قيل تُحاكي متطلبات عصر الولاة مثل : الفخر، والهجاء، والمديح، والحماسة ، كما قرأنا في النماذج المذكورة آنفاً.

**معاني شعر عصر الولاة :**

1ـ لا نلمس في شعر عصر الولاة العمق الفكريّ ؛ بسبب أن الموضوعات المطروحة كانت تطرق موضوعات مباشرة ، فضلاً عن أن الأحداث التي يعيشها المسلمون في أوائل أيام الفتح لا تحتاج إلى تفكير عميق، وطول تأمل .

2ـ الشعر يميل إلى روح البداوة والقبلية ، ومن ثَمّ تميل ألفاظه إلى الخشونة، ووضوح الفكرة .

3ـ هذا اللون من الشعر كان مناسباً لطبيعة الناس الذين مازالوا محافظين على بداوتهم وتقاليدهم القبلية ، ولمَّا يتأثروا بعدُ بالثقافة الجديدة لحياة الأندلس الرَّاهنة ؛ لذا فالتجارب الشِّعرية تحتاج إلى وقتٍ كبيرٍ، وهدوء حال؛ لتبرز الأساليب الفنية الجديدة في أثناء تلك التجارب الشعرية ( ينظر : الأدب الأندلسي "هيكل" ص 69 .)

**المحاضرة السَّادسة :**

**النَّثـــر الأندلسي فـــي عصــر الـولاة**

على الرغم من قلِّة التُّراث النَّثري في عصر الولاة ، إلَّا أنّه أكثر كمّاً من الشِّعر ؛ نتيجة لطبيعة المرحلة السِّياسيَّة السَّائدة ، وما يترتب عليها من حاجة المرحلة للـ"خطابة" في ظروف الحرب والنِّزاعات القبلية، والمناسبات السِّياسية والدِّينية، وكان كثيراً ما يستمع الجند إلى الوعّاظ والدّعاة في أثناء فتح المدن ؛ من أجل رفع معنوياتهم، وتثبيتهم في أرض المعركة .

والكتابة "النَّثر" ضرورة تقتضيها ظروف الفتح وشؤون الحكم ؛ من أجل تسيير أمور الحاكمين مع الرعية كـ (عهدٌ يُعطى وصُلحٌ يُبْرم، ورسالةٌ توجّه ). (الأدب الأندلسي "هيكل" : ص 65).

ويُزادُ على ذلك المناسبات الرَّسميّة والشَّخصيّة ، ومن هذه النماذج **عهد الصلح الذي كتبه عبد العزيز بن موسى بن نصير لأحد حكام القوط (تدمير) :**

**( بسم الله الرحمن الرحيم**

**من عبد العزيز إلى تدمير أنَّه نزل على الصُلح ، وأنَّه له عهدُ الله وذمَتُهُ ، أن لا ينزعُ عن ملكِهِ ، ولا أحدٌ من النصارى عن أملاكهِ ، وأنَّهم لا يُقْتَلُون ، ولا يُسْبَونَ أولادَهم ونساءَهم ، ولا يُكْرَهون على دينهم ، ولا تَحْتَرِق كنائَسهم ، وما تُعُبِّد ونُصح ، وأنَّه لا يأوي لنا عدواً ، ولا يخون لنا أمناً ، ولا يَكْتِمُ خبراً عَلِمَه ...).(**البيان المُغْرب ، لابن عذاري : ج2 /ص67)

ومن الكُتّاب الآخرين **خالد بن يزيد كاتب يوسف الفهري** أحدُ الولاة وكذلك الكاتب **أُميَّة بن يزيد** الذي دخل مع جنود "**بَلْج بن بشر**" ، ومن جملة الكُتّاب الذين اتخذهم حُكّام الأندلس وأمراؤهم كُتَّاباً هما : **فطيـــس ابــــن عيســـــى وخطّــاب بــــن يــزيـــــد** اللذان اتخذهما هشام (الأول) ابن عبد الرحمن الأول الذي حَكَمَ من (172- 180 هـ) كاتبين له ، ومن كُتَّاب الحَكم (الأول) ابن هشام الأول الذي حكم (180- 206هـ) هما : **حجَّاج المغيلـــــــــي وفطيـــس بــــن سليمــــــــان** ، ومن كتّاب عبد الرَّحمن الثَّاني (الأوسط) بن الحَكَم الأوَّل (206- 238هـ) إذ له خمسة كتّاب هم : **1ـ عبد الكريم بن عبد الواحد ، 2ـ عبد الله بن محمّد ، 3ـ محمّد بن سعيد الزجّالي ، 4ـ سفيان بن عبد ربَّه ، 5ـ عيسى بن شهيد** ، وكان للأمير محمد (الأول) بن عبد الرحمن الأوسط الذي حكم من (238- 273هـ) ، كُتَّاباً من غير المسلمين ، وهو الكاتب : **غومز بن انطونيان** ، فضلا عن الكُتّاب الآخرين، مثل: عبد الملك بن أُميَّة، وحامد ابن محمّد الزجَّالي، وموسى بن أبان ، ومن الكتّاب من كان من أسرة واحدة ، وهو ما اصْطُلِحَ عليه **(الأُسَر الأدبية)** ، أمثال :

**الكاتب عبد الله بن محمد ابن أُميَّة** ، توفي الابن سنة 240هـ ، وتوفي الأب سنة 226هـ ، وتوفي الجد سنة 154هـ، ( ينظر: نفح الطيب: ج1/ص217، والأدب الاندلسي (منجد):99-100 ) ومن هذا المشهد نخلص إلى نتيجة مفادها :

إنّ المجتمع الأندلسي كان ينظر بعين الاعتبار والمراقبة للكتّاب ، كما وصف ابن سعيد كاتب الرَّسائل ، بقوله :

(وله حظٌّ في القلوب والعيون عند أهل الأندلس ، وأشرف أسمائه (الكاتب) ، وبهذه السِّمة يخُّصُّه من يُعظِّمه، وأهل الأندلس كثيرو الانتقاد على صاحب هذه السِّمة ، ولا يكادون يغفلون عن عثراته لحظة ) .(نفح الطِّيب : ج1/ص217).

**الخطبــــة (النَّثــــر)**

إنّ النُصوص القليلة التي وصلت إلينا تُعطي صورة عن الموضوعات التي تناولها من مسائل الدِّين ، وشؤون السِّياسة ، وأحوال القبائل (على شكل خطب) ، وعالجت العهود ، والرَّسائل والتوقيعات (على شكل كتب رسمية) .

أمّا خصائصه الفنية :

على وفق ما وصل إلينا من نصوص ، فهو نثر يميل إلى:

* الإيجاز .
* ويُعنى بقوة العبارة أكثر من عنايته بالتزويق اللفظي .
* النُّصوص النَّثرية خالية من المقدمات ، والألقاب الكثيرة ، والرسوم المترتبة عليها .

وأن كتّاب النثر في الأندلس مثَلهُم مَثَلُ شعراء تلك الحقبة هم من المشارقة الذين دخلوا مع قادة الفتوح ( الأدب الأندلسي "هيكل " 70 ــ 71 ) .

**المحاضرة السَّابعة :**

**كلام في الأدب المنسوب إلى القائد الإسلامي البطل طارق بن زياد**

**"هناك نصَّان منسوبان إلى القائد طارق بن زياد في عصر الولاة"**

**النّصُّ الأوّلُ: الشِّعر**

ركبنـــــــــا سفينـــــــــاً بالمجــــــاز مقيـــَّرا

عســى أن يكــون الله مِنــــَّـا قــــد اشترى نفوســـــــاً وأمــــــوالا وأهـــــــــلا بِجَنَّـــــة

إذا مـــا اشتهينــا الشَّــــــيءَ فيهـــــــا تيســــرا ولسنا نُبالــــــي كيـــــف ســـالــــتْ نُفُوسُنَا

إذا نــــحـــن أدركنـــــا الـــذي كـــان أجـــــــــدرا

**النَّص الثَّانيَّ : الخطبة**

تناولت المصادر التأريخية و الأدبية خطبة القائد الإسلامي طارق بن زياد؛ لكونها تمثل البذرة الأولى لفتح بلاد الأندلس، ونقطة الانطلاق الأولى لأقدام الفاتحين المسلمين في الأندلس ، ولو صحّت نسبة الخطبة والأبيات الثلاثة ـ على رأي الأغلبية من دارسي الأدب الأندلسي) لهذا القائد الكبير التي يحاول الكثير من الباحثين التشكيك بنسبتها إلى هذا القائد الكبير ، متناسين الإنجاز العظيم ، والفتح الذي حققه على أرض الأندلس ، وكأنَّهم يريدون النيل من شخص هذا الفاتح الذي ثَقُل عليهم الاعتراف بإنجازاته العسكرية وإطرائه كما تفعل الدول مع قادتها وفاتحي البلدان ، فاخذوا بالحديث عن الخطبة والتشكيك بنسبتها إليه عِبْرَ تلمس الأسباب، وإلَّا فستكون الخطبة أقدم نصّ نثري وصل إلينا ،

وأول ما يلاحظ على هذه الخطبة أنّها لا ترد في المصادر التاريخية الأندلسية التي تناولت أوليات الفتح الإسلامي باستثناء الذي ورد في كتاب ( استفتاح الاندلس ) لعبد الملك بن حبيب " 174ـ 238هـ "، والنَّصُّ الذي أورده ابن قتيبة" ت276هـ " في كتابه (الإمامة والسياسة)، علما أن أقدم نصٍّ ورد إلينا بطريق مشرقي هو نصُّ ابن خلكان "ت681هـ "، في كتابه ( وفيات الأعيان) ، وكما يرى د. منجد أنَّ صاحب كتاب (نفح الطِّيب) للمقري التلمساني ت 1041هـ ، نقل نصَّ الخطبة من ابن خلكان مستهلاً قوله بـ(قال بعض المؤرخين) .

**نصُّ الخُطبة :**

**(( أيها الناس، أين المفر؟ البحر وراءكم والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر، واعلموا أنّكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام، ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصون من أيدي عدوكم، وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ، ولم تنجزوا لكم أمراً، ذهب ريحكم، وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذه الطاغية؛ فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة، وأنّ إنهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت، واني لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة؛ ولا حملتكم على خطة- أرخص متاع فيها النفوس- أبرأ منها بنفسي . وأعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً، استمعتم بالألذ الأرفة طويلا .**

**فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي، فما حظكم فيه بأوفر من حظي، وقد بلغكم ما انشأت هذه الجزيرة من الحُور الحسان، من بنات اليونان، والرافلات في الدُّرِّ والمرجان، والحلل المنسوجة بالعقيان، المقصورات في قصور الملوك ذوى التيجان، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عرباناً ، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهاراً وأختاناً، ثقة منه بارتياحكم للطعان، واستماحكم بمجالدة الأبطال الفرسان ؛ ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة؛ وليكون فتحها خالصاً لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم. والله تعالى وليّ إنجادكم على ما يكون لكم ذخراً في الدَّارين، واعلموا أني أول مجيب لما دعوتكم إليه ، وإني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لـ"ذريق" فقاتله إن شاء الله تعالى. فاحملوا معي، فإن هلكت بعده، فقد كفيتكم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه، وأن هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزيمتي هذه، واحملوا بأنفسكم عليه، واكتفوا إليهم من فتح هذه الجزيرة بقتله، فإنهم بعده يخذلون ))** . (نفح الطيب : ج1 / ص 112)

**وهذه بعض أدلة الباحثين الذين استبعدوا أن تكون الخطبة للقائد طارق ابن زياد .**

1: إنّ القائد طارق بن زياد كان مولًى لموسى بن نصير ، وهو بهذا حديث عهد باللغة العربية ، ولا يتمكن من ناصية الخطابة والشعر (الأدب الأندلسي (هيكل) ص63-64 ) .

بالنظر إلى أن موسى بن نصير وَلِيَ قيادة المغرب على الأرجح سنة " 89هـ" أيام حكم الوليد ابن عبد الملك ، وهي السَّنة التي ارتبط بها طارق بن زياد بموسى بن نصير في الأقل من الناحية العقلية، ويزيد د. أحمد هيكل أن سنة 89 هـ ، أيضاً السَّنة التي ارتبط بها طارق بالإسلام وباللغة العربية، وأنا استبعد ذلك ! فكيف يكون كذلك ويكون قائداً ! ؟ .

ويضيف هيكل بالموازنة مع السِّن الذي كان يبلغه طارق بن زياد أيام الفتح الإسلامي عام "92هـ" ، وهي مدة زمنية وجيزة يُستبعد فيها إجادة القائد طارق للغة العربية ؛ لتفسح الطريق أمامه لغرض الشعر وإنشاء الخطب (الأدب الأندلسي (هيكل): ص 72- 73 ).

ويرى الدكتور (منجد) في بعض الأدلة التاريخية الفكرية التي استقاها من مصادر أدبية متنوعة، عدم قبوله أن تكون الخطبة والشعر إلى القائد طارق، منها :

يرى جمع من الباحثين : ((عدم تلائم المعاني التي جاءت في الخطبة مع الروح الإسلامية العالية التي تحلَّى بها القائد ، وجنده فليس في الخطبة إشادة بدوافع الفتح والحثِّ على طلب الشهادة، كما هو معهود في خُطب الجهاد إذ من غير المعقول أن يُغرى جنوده بالمغريات المادية في مقام يستدعي بذل الأرواح في سبيل الله)) . (الأدب الأندلسي "منجد" : ص 101 )

**أقول :** إنّ نص الخِطبة ليس فيها ما ينافي رأي الشارع المقدَّس ، أو الشريعة السمحاء من معانٍ وأفكار ، بدليل قوله تعالى : (ولمن خاف مقام ربّه جنتان) فقد وعد الله تعالى المؤمنين بذلك ترغيباً بحسن العاقبة والمآل ، وقد عبَّرت الخِطبة عن هذه المعاني أصدق تعبير وأوفاه : (. . . ليكون حظَّه منكم ثواب الله ، وإعلاء كلمته ، وإظهار دينه بهذه الجزيرة ، وليكون فتحها خالصاً لكم من دونه ، ومن دون المؤمنين سواكم ، والله تعالى وليُّ إنجادكم على مايكون لكم ذخراً في الدَّارين . . . )

لقد جعل القائد طارق بن زياد جنوده أمام أمر واقع لا مفرّ منه ، وهذا نتيجة للظرف الذي كان سائدا مع جنوده , فأما الشَّهادة أو النَّصر؛ لأنهم أصبحوا في بلاد ليست بلادهم ، والأهل ليس أهليهم ، ولا وسيلة تنجيهم من الموت إن لم يحرزوا النصر، هذا التَرهيب الذي استعمله القائد مع جنده ليس ترهيب بشر لبشر من باب القوة والإخضاع ، بل أردفه بقوله: (وليس لكم والله إلا الصِّدق والصَّبر ، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام ...) ، فضلاً عن ذلك نجده يقدِّم نفسه أمامهم للموت بقوله : ( واعلموا أنِّي أول مجيبٍ لما دعوتكم إليه ، وإنِّي عند ملتقى الجمعين على طاغية القوم "لذريق" فقاتله إن شاء الله تعالى.)

ولو أنعمنا النظر في قول القائد من إنزال نفسه من جنده في الموت معبِّراً عن ذلك بـ : (وإني لم أُحذركم أمراً أنا عنه بنجوة، ولا حملتكم على خطة أرخص متاع منها النفوس أبرأ منها بنفسي) .

أي قائد يقول لجنده أنا معكم في جناح الموت سيان، لا يدفع جنده إلى القتال فقط ، وهو معهم لا ينجو من الموت ولا يبرئ بنفسه .

فهل مثل هذا المفهوم مخالف للشريعة حين يضع القائد نفسه مع جنده في خط الموت ؟ !

ويخلص القائد إلى نتيجة رائعة من عدم إيثار نفسه عليهم في الشهادة ونيل رضا الله عزَّ وجلَّ ، والفوز بالجنان ، وما فيها من أنواع النِعم التي ما لا عين رأت ، ولا أُذنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطَرَ على قلب بشر : (فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي مما حظكم فيه بأوفر من حظي)، فكان قوله مصداقاً لقول الله تعالى : ( ولا تحسبن الذين قُتِلُوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربِّهم يُرزقون فرحين بما أتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألَّا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (آل عمران : 169 ـ 170) .

وهذا هو قانون الحياة لكل عمل جزاء بغض النظر عن ماهية العمل سواء في التشريعات الإلهية أو في النُظُم الوضعية .

واحتجَّ جملة الباحثين بحداثة عهد طارق بالإسلام، التي لا تتيح له هذه البلاغة والبراعة في خطبته ولا سيما أن اللغة العربية كانت جديدة عليه ، فالغالب أنه بربري من قبيلة نفزة .

ومن جملة الشكوك التي توجهت إلى الخطبة أنَّ المعلومات التاريخية التي وردت فيها كانت مغلوطة ، فقد جاءت كلمة (اليونان) وربما جاءت الكلمة خطاً؛ لتحقيق السجع والمعتاد أن يذكر الرومان أو القوط ، أو العلوج ، أو العجم أو المشركين والكفار، في مثل هذا المقام، ولو ذكر (الرومان) ؛لجاز لأنهم يمثلون عنصراً من عناصر المجتمع الاسباني.

أقول :

إنَّ ورود كلمة (اليونان) أو (الرومان) من حيث موسيقى السجع لا اختلاف بينهما، أمّا من حيث المفهوم ، فالفرق واضح ، وهو خطأ تأريخي .

فما قولنا إن كانت العرب تُسمي قراصنة أوروبا في البحر بـ(المجوس) ... هل هذا خطأ أو ماذا نقول عنه ؟!!!

والنَّصُّ هو: (وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحُور الحِسان من بنات اليونان (الرومان)الرافلات في الدُّرِّ ، والمرجان ، والحلل المنسوجة بالعقيان المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان) (العقيان : الذهب المتكاتف في مناجمه , ينظر : لسان العرب , مادة " عقق " .

ويزيد د. منجد خطأ تاريخيا آخر في الخِطبة من أنَّ الوليد بن عبد الملك قد اختارهم عرباناً ( أو عزبان) فيقول: (والصواب تاريخيا أن الذي انتخبهم هو موسى بن نصير، اللهم إنْ كان ذلك مقصوداً على سبيل المجاز، وان نسبة البربر المشاركين في الفتح كانت عالية)، وكان عدد العرب الذين صحبوا القائد طارق بن زياد قليلاً بالقياس إلى البربر ، وقد صحبوه من أجل تعليم الجند مبادئ الإسلام .

**أقول :**

منذ زمن بعيد تُنْسب المنجزات وانتصارات الحروب وغيرها إلى الملوك والرؤساء والقادة.

فمثلاً بناء الجنائن المعلقة وبناء الأهرامات ، وسور الصين فهل عرفنا يوماً ما أسماء العمال الذين شاركوا في تلك الصروح العمرانية الحضارية ، وإنّما تُنْسب إلى حكامها ، فكذلك ما جاء في الخطبة من إيراد اسم الوليد بن عبد الملك بوصفه الحاكم لدولة بني أمية وقتذاك يُنْسب له اختيار جند الجيش مجازاً عن موسى بن نصير .

وللحديث تتمةٌ .